

الحسين

زفيرة لن تهدياً





بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا ونبينا محمد وآله
الطيبين الطاهرين .
السلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

(١) الحسينُ زفرةٌ لن تهْدأُ

الحسين دمةٌ لن تجف..
الحسين أهةٌ لن تصمت..
الحسين دمةٌ وأهةٌ وزفرة..
الحسين بسمه الأمل لترف على شفة الحياة..
الحسين ومضةٌ الفجر تسكب النور في دنيا الانسان..
الحسين صوت الحق يلامس كل ضمير..
الحسين عنوان العدل يخاطب كل جيل ..
الحسين انشودة النصر على فم الزمن..
الحسين إمتداد الرسائل..
الحسين وارث الأنبياء..





ودم الحسين وقده الثورة نهرٌ محروش الظالمين..
دم الحسين صرخة الصمود تتحدى جبروت الطغاة..
دم الحسين إرادة الأحرار تخطى درب الكرامة..
دم الحسين نعمة الشهادة على فم الثائرين..
دم الحسين وثيقة الإدانة لكل صناع الجريمة في الأرض،
لكل المتخاذلين،
لكل المساومين،
لكل المتاجرين بقضايا الإسلام وبقضايا الأمة.



وكربلاء فجر الخلود..
كربلاء قبلة الشموخ..
كربلاء وحي البطولات..
كربلاء مدرسة الجهاد..
كربلاء العنفوان والموقف.

وعاشوراء يوم في دنيا الأحزان خالد..
عاشوراء يوم في دنيا المأساة يتجدد..
عاشوراء يوم الدموع والعبرات..
عاشوراء يوم الأهات والحسرات..
عاشوراء يوم على آل الرسول عظيم..



(٢) سِرُّ الدَّمْعَةِ وَالْأَهَةِ

- لماذا نبجزُ للذكرى عبرَ الدموعِ ؟
لماذا نحرقُ القلبَ بالأهاتِ والحسراتِ ؟
لماذا ندفعُ النفسَ في دنيا الأحزانِ ؟
لماذا نشربُ كوؤوسَ النصرِ مترعةً بالأسى والالامِ ؟
لماذا نحولُ البسمةَ الخضراءِ إلى فيضٍ من الزفراتِ ؟
لماذا لا نفرشُ الدربَ بالأزاهيرِ ؟
لماذا لا نسكبُ العطرَ ؟
أليست كربلاءُ عرسَ الإنتصارِ ؟ إنتصارَ الدمِ على السيفِ ؟
فلماذا الدموعُ والأهاتُ والأحزانُ ؟

الدمعةُ فيضُ الحبِّ في القلوبِ،
الدمعةُ وقدةُ الإشتعالِ في الضميرِ،
الدمعةُ شحنةُ الأنصهارِ والذوبانِ والتلاحمِ،
الدمعةُ زخمُ العاطفةِ تحريكُ الهممِ والعزائمِ،
الدمعةُ حرارةُ النبضِ توقظُ الوعيَ والفكرَ،
الدمعةُ روحُ الحركةِ والديمومةِ والبقاءِ.

(٣) بصيرة لا تخطأ الحقيقة

الإمام الحسين كان على بصيرة وهو يقدّم أطروحة النصر مكتوبة
بأحرف من دماء..
الإمام الحسين كان على بصيرة وهو يرسم لثورته طريقها عبر جثث
وأشلاء..
الإمام الحسين كان على بصيرة وهو يستنفر على عناصر المساقفة في
أحداث كربلاء..
فالعاطفة الغاضبة المتفجرة يجب أن تبقى،
مادامت الذكرى الفاجعة تحمل على اكف الزمن
أشلاء القتلى المخرجين بالدماء..
العاطفة الغاضبة المتفجرة يجب أن تبقى،
مادامت ذاكرة التاريخ تحتضن صور المساة..
العاطفة الغاضبة المتفجرة يجب أن تبقى،
مادام ضمير الزمن يئن من قساوة الجريمة..
العاطفة الغاضبة المتفجرة يجب أن تبقى،
مادامت كلمات الإمام الحسين تخاطب الأجيال تلو الأجيال..
ومادامت كربلاء تتكرر وتتكرر،
ومادام يزيده يحكم في الأرض .

(٤) وبدأ القدر الدامي

في العاشر من المحرم وفي العام الواحد والستين للهجرة
وهناك هناك على أرض كربلاء،
وقف السبط الحسين بن علي...
وأمام الحسين أصطفت حشود الضلال
تزدحم في داخلها كل معاني الخسة والحقارة،
وتأصلت عندها قيم الجاهلية...
فقررت أن تتأز لتاريخها الموتور،
وصممت أن تقتل الحسين !!
وقف السبط الحسين يتأمل هذه الحشود المضللة،
ارتسمت على شفثيه إبتسامة، وتندت في مقلتيه دمعة...
إرتسمت على شفثيه إبتسامة..
إنها إبتسامة التحدي والشمم،
فما كان شبلي علي يرهب الموت...

وخيوفه بالموت قوم متى ذرّوا
بأنّ حسيناً من لقا الموت يرهب
وقامت تصادي دونه هاشمية
تحن إلى وصل المنايا وتطرب



(٥) وتندت في مقتلهم دمة ..

إنها دمة الرحمة لهذه الكتل البشرية التائهة،
المنقلبة بالضلال،
والتي تخطئ بيدها مصيرها إلى النار...
إستقبل القوم بوجه ترتسم عليه بقايا أمل...
وأرسل كلماته الحانية،
علها تعثر بين تلك القلوب المغلقة
على صبابة من ضمير
لازال يهفو إلى نور الهداية...





- ❖ «أَشِدُّكُمْ اللَّهُ أَنْسِبُونِي مِنْ أَنَا؟»
- أنتَ الحَسينَ سبِطَ رَسولِ اللَّهِ .
- ❖ «أَشِدُّكُمْ اللَّهُ هَلْ تَعْلَمُونَ أَنَّ أُمِّي فَاطِمَةُ بِنْتُ مُحَمَّدٍ؟»
- اللَّهُمَّ نَعَمْ.
- ❖ «أَشِدُّكُمْ اللَّهُ هَلْ تَعْلَمُونَ أَنَّ أَبِي عَلِيٌّ بِنَ أَبِي طَالِبٍ؟»
- اللَّهُمَّ نَعَمْ.
- ❖ «أَشِدُّكُمْ اللَّهُ هَلْ تَعْلَمُونَ أَنَّ هَذَا سَيْفُ رَسولِ اللَّهِ أَنَا مَتَّقِدُهُ؟»
- اللَّهُمَّ نَعَمْ.
- ❖ «أَشِدُّكُمْ اللَّهُ هَلْ تَعْلَمُونَ أَنَّ هَذِهِ عِمَامَةُ رَسولِ اللَّهِ أَنَا لَابِسُهَا؟»
- ❖ «فِيمَ تَسْتَحِلُونَ دَمِي؟!»
- اللَّهُمَّ نَعَمْ.
- قَدْ عَلِمْنَا ذَلِكَ كُلَّهُ، وَنَحْنُ غَيْرُ تَارِكِيكَ حَتَّى تَذوقَ المَوْتَ عَطشًا .
- (إِنَّهَا قُلُوبٌ اسْتَحُوذَ عَلَيْهَا الشَّيْطَانُ فَأَبَتْ إِلَّا الضَّلَالُ).



(٦) شموخ وطمود

وقف الحسين في شموخ وثبات،
ووقفت معه قلة مؤمنة ...
وجاهد بين يديه أنصار العقيدة..
حملوا الأرواح فوق الأكف،
لبسوا القلوب دروعاً للقتال..
إهتزت نفوسهم شوقاً إلى الجنان،
تساقطوا قرايين من أجل الله،
فاحتضنهم الزمن مشاعل هداية..
وهكذا عانقوا ثرى كربلاء...
وبقي الحسين بن فاطمة فرداً وحيداً،
وشفتاه تتمتان بكلمات كئيبة:
«أما من مغيث يغيثنا .. أما من داب يدب عن حرم رسول الله»
فلا يجاوبه إلا:
صدي نسوة نوائح،
وأهات صبية وصبايا باقيات،
وصراخ أطفال ظمأ إلى قطرة ماء،
وأثات عليل يذوب أسى وألماً،
وحشرات ارواح تحتضر،
وصهيل خيول جوامح،
وبريق سيوف لوامح،
وصبيب سهام طوائش...



(٧) وداعٌ لا ينساه الزمن

وابنُ الزهراءِ فردٌ وحيد،
أسلم نفسه لقضاء الله
ثم حمل خطاه إلى خيم الرسالة...
ليلقي نظرةً الوداع على بنات الرسالة فتادين ينادين:
الوداع الوداع...
نساءً والهات ذاهلات باكيات..
وتلممت حوله صبيةً وصبايا ضامئات
أبتاه أريد ماء،
عمّاه أريد ماء،
سيّده أريد ماء...
وتناهت إلى سمع الحسين من جوف خيمة أنات خافقة،
إنه عليل كربلاء تراكمت عليه الأم وأهات وأرزاء...
وطاف الحسين تطواف الوداع..
وسكب دموع الوداع
وأرسل نظرة الوداع
وقال: الوداع الوداع...
فتادين بنات الرسالة
ينادين: الوداع الوداع...
وصمّ الحسين على الموت...



والتفت بنظرات ولهى فقال: من يقدم لي جوادي ؟
وجاءت الحوراء زينب
تقود جواد الموت إلى أخيها الحسين،
استوى الحسين على صهوة الجواد..
تحرك مشدوداً إلى عرس الشهادة،
إلى عشق اللقاء مع الله..
وإذا بصوت مبجوح مثقل بالأسى والحزن يلامس سمع الحسين:
قف لي يا ابن أمي يا حسين....
إنه صوت الحوراء زينب...
وقف الحسين أمام أخته الحوراء مشدوداً بنظراته الوالهة
إلى عينيها الواجنتين،
ماذا تريد إبنة الزهراء...؟
فما كان منها إلا أن هوت على نحره الطاهر،
وعلى صدره المقدس لتطبع قبلتين حارّتين،
وارتسمت على شفيتها علامات الهدوء والإطمئنان،
ثم أرسلت نظرة بعيدة بعيدة
صوب مئوى أمها الزهراء قائلة:
أمّاه فاطمة أديت الأمانة .



(٨) رحيلُ ابن الرسالة

وسار الحسينُ إلى الموت،
وكانت لحظة..
وقف الكونُ عندها رهبة...
وخالجت قلب الزمن سكتة..
وبعد قتالٍ رهيبٍ رهيب،
هوى الطودُ الأشمَّ حسينَ السبط...
هوى صريعاً تعانقه صوارمٌ ورماح،
وهوت تقبلُ جسمه حدودُ المواضي والظبا،
وطاشت تمزقُ قلبه سهامُ الحقد...
وتواثبت تداعبُ صدره حوافرٌ وسنابك،
وتسابقت تناهشُ لحمه ذئبانٌ مسعورة..
وهكذا افترش الحسين رمضاء كربلاء،
وقد كتبَ بدمه أروع ملحمةٍ
في تاريخ البطولة والفداء .



(٩) غروبُ لن يتكرر

وغربت شمسُ العاشرِ من المحرّم...
وأرسل الليلُ سدوله الحزينة...
وأطلَّ القمرُ بأشعتهِ الوادعةِ الكئيبةِ
ولامسَ ضوءه المفجوع أشلاء الضحايا
المتلفعة بالنجيع،
والمتناثرة فوق ثرى كربلاء..
غربت شمسُ العاشرِ من المحرم...
وأرسل الليلُ سدوله الحزينة،
ليحتضن بين حناياه أنات الأرواح المحتضرة،
وأهات الثكالى،
ويلف نفوساً تسعرت في قلوبها ضوارم الأحران،
ويحجب دموعاً تحجرت في مآقي نساء ثاكلات،



ويتامى والهات..
غربت شمسُ العاشر من المحرم...
وأرسل الليلُ سدوله الحزينة،
ليواري وجوهاً لمخدرات الرسالة هتكتها يه الأثم،
ومرّقت سترها أصابع البغي،
فما وجدت غير الأكفّ ستارا..
وهكذا التقت وحشة الليل الكئيب بتلك القلوب المفجوعة،
التي روّعها هول المصاب....
وكان الليلُ أقسى وقعاً على بنات الرسالة..
كان الليلُ إمتداداً لمأساة الظهيرة،
فقد امتدت يه اللؤم
لتسجلَ بعداً جديداً من أبعاد الخسة والحقارة،
فبعد أن أوقدت نار الأسى في القلوب الطاهرة،
امتدت لتوقدها ناراً تلتهم أجنية النبوة وخيام الرسالة....



(١٠) ظلال المساة

وهكذا احتبكت ظلال المساة وخيوط الفاجعة،
لتكون الملتقى الأليم..
وكانت الحوراء زينب هي ذلك القلب
الذي تمازجت فيه روافد المساة..
فأمام ناظرها ترسم صور الفاجعة
أجساد مرققتها المواضي والسهام،
صدور سحقتها حوافر الخيول..
طفولة بريئة تعانق الموت،
شبيبة يافعة تتهاوى في بحور من دماء،
شيخوخة هرمة صريعة فوق الرمال...
نيران تضطرم في الخيام،
سياط تتلوى على المتون...
نساء حائرات تستغيث،
أطفال وصبايا هائمات..
رؤوس تتوامض على كرى الأسنة،



همومٌ ثقيلةٌ تجثم على القلوب المثكولة..

والحوراءُ زينب....

وقد أخرجت الخطبُ دمعها....

تقف شاخصةً بطرفٍ كليل،

وقلب مجروحٍ كئيب..

أتودع صفوةً ظلّوا عرايا فوق الوهاد؟

أم تلملم صبيةً وصبايا هائمات؟

أم تكفكف بيدها الرّحيمة دمعاً

حجّرها المصاب في مقلة طفلة؟

أم تمسح بحنان رأساً ليتيمة روعها الخطب؟

أم ترعى عليلاً كابد الألام؟

أم تتقي ضرب السياطر المجنونة؟

أم تجرّع النفس عُصص الشماتة الحاقدة؟

صور أليمة...

ومواقف حائرة...

وأشباحٍ مرعبة...

(إلا أن شيئاً من الخور والضعف ما استطاع أن يلامس عزمة الصمود

في نفس بطلة كربلاء)...



وفي زحمة الخواطر والأهات والآلام...
كانت الحوراء زينب تتخطى أشلاء القتلى
المتناثرة فوق الرمال الحمراء،
لتقف عند جسد ابن والدها حسين...
ألقت على الجسد الطاهر نظرات والهة،
فانتقدت لواعج الأسى في قلبها..
وأرسلت أنه خافتة وأمه مخنوقة،
وزفرة هادئة،
وإنسابت من مآقيها دموع صامتة وعبرات ساخنة،
امتزجت بالدماء الملقعة للجسد المقدس..
ثم مدت يدها الطاهرة إلى الجثمان المضرج
والجسد الطريح،
وشدت طرفها إلى السماء قائلة: (اللهم تقبل منا هذا القربان)



(١١) متلى تشرق الشمس

سيدي يا أبا الأحرار...
أطلّ علينا من كربلاء الشموخ...
فقد طغى الكفر وهاجت الفتن..
تاهت بنا الدروب،
وارتكمت في أفقنا الغيوم..
ومات في نفوسنا الوميض،
وانطقاً الضمير..
حياتنا أرهقها الجفاف ولقّها الضياع،
وعات في أحشائها الألم
وزمجرت زوابع الخريف..
وطال ليلنا البهيم..
وصاح في ربوعنا الذئاب^(١) ..

(١) الحديث عن واقع المسلمين عموماً في شتى أنحاء المعمورة .



وهاج في طريقنا النباح..
نمرود أوقد النيران ليحرق العباد،
فرعون يتربع على كرسي الربوبية المزعوم
يصلب الأجساد على الجذوع،
يسمل العيون،
يقطي الأيدي والأرجل..
أبو جهل يقود جحافل الشرك
يحارب محمدًا «صلى الله عليه وآله وسلم»..
أبو سفيان يؤجج الفتن..
يزيد يقتل الحسين،
يسبي النساء،
يذبح الأطفال...
فمتى ينطوي الليل،
وينهزم الظلام ؟
ويشرق الفجر،
ويبتسم الربيع ؟
وتورق الحياة،
ويضحك الأمل ؟



متى تنطفئ نيران نمرود،

ويغرق فرعون،

ويهلك أبو جهل،

ويؤسر أبو سفيان،

ويدفن يزيد ؟

متى ينتفض المختار ليقتل شمراً وابن سعد ؟

متى تشرق الشمس وينهزم الظلام ؟

وتتجر خفافيش الليل ؟

قلوبنا ظامئة...

أرواحنا عطشى...

فالعجل العجل..

يا صاحب الزمان.